

اجتهادات دموع عرابى ورفاقه

كأئننى رأيتهم رأى العين، وجوههم حزينة، والدموع تنهمرُ
من أعينهم. هل يكون حلمًا، أو ربما كابوسًا؟ لا هذا، ولا ذاك.
خيال من وحى الواقع. اتهام المقاومة بأنها تسببت فى كارثة
لغزة وشعبها يُذكرهم بظلم هائل تعرضوا له قبل 142 عامًا
حين حُمِلوا المسؤولية عن الاحتلال البريطانى لمصر. ما أشبه
الليلة بالبارحة، وإن بعدت 0 تحرك عرابى والبارودى
وعبدالعال حلمى وغيرهم كُثُر لتحرير شعبهم، فاتَّهموا بأنهم
ألحقوا به الأذى. هل رأيتُ دموعًا يذرفونها حقًا، أم شبه لى؟
كيف، وهم الذين صمدوا وبقيت رءوسهم مرفوعة فى عز
محنتهم عندما اعتُقلوا وأبعدوا عن الوطن؟

قد لا يكون هذا غريبًا. سيكون لأن هناك من لم يستوعبوا
دروس نضالهم الوطنى، ولم يفهموا أن حرية الأوطان تُفقد
وتُنتزع عبر المقاومة والصمود، ولا تُستجدى. هل كان ممكنًا
أن تتحرر مصر من الاستعمار الذى كان يطرق أبوابها
بأدواته المختلفة عشية الثورة العرابية دون تضحيات شعبها
المستمرة لأكثر من نصف قرن.

هل تُنسى، بهذه البساطة، دروسُ مقاومة المصريين فى ثورة 1919، وفى انتفاضات متوالية، فتُشَيِّطن المقاومة فى غزة بدعوى الحفاظ على شعبها الذى لم يطلب من هؤلاء الذين يتحدثون باسمه شيئاً؟ هل كان ممكناً إحباط العدوان الثلاثى دون مقاومة المصريين الباسلة، وعدم انجرارهم وراء من زعم أن تأميم قناة السويس كان خطأ فادحاً، وطلب رأس قيادتهم لتقديمها إلى المستعمرين المجرمين ليصفحوا عنهم، مثلما تُطلبُ رأس المقاومة فى غزة الآن؟ وهل كان ممكناً تحرير سيناء دون صمود شعب مصر وجيشها، واستشهاد أبطالها فى حرب أكتوبر، وتحمل أعباء الإعداد لها؟ وهل.. وهل..؟

أسئلةٌ كانت تبدو ساذجةً⁰ لكن مواقف من يحملون على المقاومة فى غزة، لأنها تُقاوم مُحتلين مُجرمين، تفرضُ طرحها للتذكير بدروس تاريخنا، والتنبيه إلى أن من لا يستخلص العبر من تاريخه يُخاطرُ بإعادة إنتاجه.

إن دموع عرابى ورفاقه، الذين كتبوا الصفحة الأولى فى تاريخ نضالنا الوطنى الحديث، لهى عزيزة جداً على من يعتزون بكل مقاومة ضد الاحتلال والوصاية فى تاريخ

المصريين وحاضرهم. وسيأتي يوم تتحول فيه تلك الدموع
إلى دموع فرح وفخر.